الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

# مغامرات شارلوك هولمز

## The Adventure of the copper Berches

# مغامرة منزل الأشجار النحاسية

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

**أجيال الغد**
سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

12

# مغامرات شارلوك هولمز

## The Adventure of the copper Berches

# مغامرة منزل الأشجار النحاسية

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
حزيران 1892

ترجمة: سليمان حسون
مراجعة: لينا حجازي

# مُقدِّمةٌ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشّبان أو الشّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأنَّها (أي شخصية هولمز) كانت تحث القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللّغز

المطـروح بشـكلٍ يجعـل القـارئ يضطـر لاسـتخدام كل ملكاته الفكريَّـة والعقليـة للوصـول مـع هولـمز وواطسـون إلى حقيقـة الأمـر، أو حتَّـى أن يسـبقهما في التَّوصـل للحقيقـة. الطَّريـف في شـخصية هولـمز أنَّها وعـلى الرغم من أنَّهـا تقدِّم لنا شـخصاً من لنـدن في نهايـة القـرن التَّاسـع عـشر إلا أنَّهـا مـن خـلال طريقة تعاملهـا مع مـا حولها ومن حولهـا تبدو شـخصية أكثر معاصرة وكأنَّ كونـان دويـل نجـح بتحويلها إلى شـخصية خـارج إطار زمان محدد.

الأهـم من شـخصية هولـمز التي تتسـيَّد كل قصـص كونان دويـل هـي شـخصيَّة كاتبهـا التـي تشي بشـخص عـاش حياته كتجربـةٍ عظيمـةٍ تمكَّـن إلى أقـصى حـد في تصويرهـا مـن خلال شـخصية هولـمز، أحيانـاً وشـخصية د. واطسـون بصـورةٍ أكبر وأكثـر جـلاء. كـما تمكَّـن الفنـان سـيدني باجيـت مـن ابتـداع صـورة نمطيـة محـدَّدة ومشـوِّقة للسـيد هولـمز في أذهاننـا، مـع مواكبـة قصـص كونـان دويل برسـومات جميلة جعلـت صورة هولـمز المرتـدي لقبعتـه المميـزة. وغليونـه الجميـل، صـورة لا تمحى من أذهاننا.

# آرثر كونان دويل
## مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التَّحري الذَّكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذِّهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتَّحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشَّخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مُثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحوَّلت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطّب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتَّجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول النَّاقد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصيَّة روائيَّة هذا الحظ من القدرة على امتاع القرَّاء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً

كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة ، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

# شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة

قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدَّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من هذه القضايا الصَّغيرة، مُركِزَةً على القضايا المشوِّقة التي تتطلَّب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصَّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشكلٍ دائم في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسةٍ مكبرة. ويوصف هولمز بأنَّه سيدٌ إنجليزي من الطِّراز الفيكتوري، طويلٌ ورشيقٌ، له عينان حادَّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرُّغم من قامته النَّحيلة فإنَّ قدراته البدنيَّة عالية. هو ملاكمٌ ومبارزٌ ماهرٌ، وعادة ما يتغلَّب على خصومه في المرات القليلة نسبيَّاً التي اضطر فيها للاشتباك جسديَّاً. وفي مغامرة إكليل العقيق يقول هولمز أنَّه: (يمتلك قوة استثنائية في أصابعه). أمَّا في مغامرة المنزل الفارغ فيذكر أنَّه: (يمتلك

القليل من المعرفة حول المصارعة اليابانية). كان يعيش هولمز في لندن شارع بيكر عنوان 221 B.

في أوَّل قصصه، دراسة بالقرمزي، قُدِمَت بعض المعلومات عن خلفية هولمز. قُدِم في 4 آذار 1881 على أنَّه طالب كيمياء مستقل، له مجموعةٌ واسعةٌ من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنَّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكِّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أنَّ جدَّته كانت شقيقة الرَّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريَّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلت إحدى الشَّفرات في مغامرة الرِّجال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشارلز إغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نوروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في 221 B شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة

الشـقة والاهتمام بها السـيدة مارثا هدسـون، مالكـة البناية. وقد وصـف دويـل الحي الذي يعيشـان فيـه بدقة، حتَّـى أنَّ الكثيرين من القرَّاء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومـن أبـرز الشَّـخصيات التـي ظهـرت في حيـاة شـارلوك هولمز:

## د. واطسون

واطسـون؛ صديق هولـمز الحميم، وكاتب سـيرته الذَّاتيَّة، كما أنَّـه يقـوم بتسـجيل معظم قضايـا هولمز. وفي القصـص الأخيرة ينتقـد هولـمز واطسـون دائـماً لأنَّه يـروي القصص بشـكلٍ مثيرٍ، مبتعـداً عـن الطَّريقـة الموضوعية والمفصَّلـة للتقاريـر التي تركز عـلى ما يُسـميه هولمز (العلـم المحـض). واطسـون، بالمقابل، له سـمعة مـبررة بعـض الـشَّيء كرجـل يميـل إلى النّسـاء، يتكلَّم بحـب عـن بعـض النِّسـاء، وفي بعض القصـص الطَّويلـة كثيراً مـا يركِّز عـلى جمال امـرأة معيَّنـة، وفي النِّهاية فإنَّه يتـزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

## جيمس موريارتي
### «عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسـور جيمـس موريـارتي (نابليـون الجريمـة)، هو في

الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأَنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

## آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أَنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

# مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتَّى ليثبت حلوله الخاصَّة، ويُفضِل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن يتحمَّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها فيما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

# مغامرة منزل الأشجار النحاسية

أشار شارلوك هولمز وهو يلقي صفحة إعلانات جريدة ديلي تلغراف قائلا: بالنّسبة لمن يمارس فن التّحليل المنطقي حباً بالفن بحد ذاته فإنّ أقصى سعادة قد ينالها تأتيه من القضايا غير المهمة ومن الأدلة التي لا يُعتد بها عادةً، ويسعدني أن ألحظ يا واطسون أنّك حتّى الآن تمكّنت من إدراك هذه الحقيقة وتوضيحها في ملاحظاتك عن القضايا التي عملنا معا على حلّها، فأنت لم تمنح الأهمية الكافية للعديد من القضايا الشّهيرة أو المرتبطة بأسماء معروفة للعامة، بل كان اهتمامك ينصب على تلك الحوادث التي قد تكون عاديّة بحد ذاتها، لكنّها تعطي مساحةً كبيرةً للقدرات الاستنتاجيّة ولعملية الرّبط المنطقي بين الحقائق، وهو كما تعلم تخصصي المتميّز.

أجبتُ مبتسماً: وبالرّغم من ذلك فأنا لا أستطيع أن أبرئ نفسي من التّهمة التي توصم بها ملاحظاتي بسبب معالجتي للقضايا المثيرة!

فقال هولمز: ربما كنتَ قد أخطأتَ في ذلك.

ثمّ تناول بالملقط جمرةً متأجّجة من المدفأة أشعل بها غليونه وتابع قائلاً: ربما كنتَ أنت قد أخطأت حين حاولت أن تضيف اللّون والحياة إلى كل ما تقصّه، بدلاً من حصر مهمتك في تسجيل ذلك التّحليل المنطقي المجرّد، لتبدأ من السّبب وصولاً إلى النّتيجة، وهو في واقع الأمر الشّيء الوحيد الجدير بالملاحظة في هذه القضايا.



فعلّقتُ قائلاً بنغمةٍ من البرود في صوتي لنفوري من غرور صديقي الشّديد بالرُّغم من شخصيّته الرّائعة: يبدو لي

أنّي قد أعطيتك ما تستحق بخصوص هذا الأمر.

فأجاب كعادته على ما يدور في رأسي وليس على ما يخرج من فمي من كلمات وقال: لا، إنّه ليس غروراً منّي أو أنانية، فإذا طالبتُ بإنصافٍ فني في التّحليل المنطقي فذلك لأنَّه أمرٌ غير شخصي شيء أكبر مني شخصيّاً.. إنّ الجريمة شيءٌ عادي وموجودٌ بكثرةٍ، أمّا المنطق فأمرٌ نادرٌ، لذلك يجب أن تكثر من الكتابة عن المنطق أكثر مما تكتب عن الجريمة، لكن أنتَ قمتَ بتحليل ما كان من المفترض أن يكون مجموعة من المحاضرات وحوَّلته إلى سلسلةٍ من القصص والمغامرات.

كان ذلك صباح أحد الأيام الباردة في بداية الربيع، فجلسنا بعد الفطور على جانبي المدفأة في غرفتنا القديمة في شارع بيكر، حيث كانت غيمةٌ كبيرةٌ ملفوفة من الضّباب تتقدّم ببطءٍ بين المنازل الملونة بألوانٍ قاتمةٍ، وكانت قبالتنا نوافذ تبدو وكأنّها لطخات قاتمة لا شكل لها من خلال أكاليل زهور صفراء غامقة، وكان مصباح غرفتنا مضاءً ليظهر غطاء الطّاولة الأبيض وما فوقها من أشياء، مثل طقم الشّاي الصيني وأدوات الأكل المعدنيّة، لم تكن الطاولة قد نُظِّفت لأنّنا ما زلنا في الصّباح الباكر والخادمة لم تظهر بعد.

بقي شارلوك هولمز صامتاً طوال فترة الصّباح يقرأ بتركيز الإعلانات في عدد من الصحف، حتّى تخلّى أخيراً على ما يبدو عن الشّيء الذي كان يبحث عنه في الإعلانات، واستعاد نشاطه ليبدأ مرّةً أخرى بإلقاء محاضرة عليَّ حول ماأكتبه.

وقال ملاحظاً بعد أن صمت لفترةٍ وجيزةٍ بدأ خلالها بتدخين غليونه: وفي الوقت نفسه لا يمكننا اتهامك بأنّكَ كنت تنشر فقط القضايا المثيرة، فقد كان عدد كبير من تلك القضايا لا علاقة له بالجريمة من النّاحية القانونيّة، مثل المشكلة التي عالجتها في مغامرة (فضيحة بوهيميا) و (لغز ذو الشفة المقلوبة) و(مغامرة النّبيل الأعزب)، كانت تلك جميعها قضايا خارج إطار المتابعة القانونيّة، لأنّه لم يحدث فيها أي خرق لأي قانون، لكنّي ربما انصرفت للاهتمام ببعض القضايا العاديّة وتخلّيتُ عن العديد من القضايا المثيرة.

أجبته بالقول: ربما كان الأمر كذلك، لكن أساليبك في التّحليل كانت جديدة ومثيرة للاهتمام !

- أيها الصّديق العزيز، ماذا يمكن أن يهم العامة، عامّة النّاس الغافلين الذين لا يستطيعون التّمييز بين التّفاصيل البسيطة فماذا يمكن أن يعنيهم كون تحليلي أكثر دقّةً من تحليل الآخرين، لقد تدهور مستوى عملي إلى درجة

الحضيض وأصبحتُ بدلاً عن العمل على القضايا معقدة، أقدِّم النّصائح للفتيات في المدرسة الدّاخلية، وهذه الرّسالة التي استلمتها صباح اليوم تدل على المستوى المتدني الذي وصلتُ إليه، هاك الرّسالة اقرأها.

ثمّ ناولني ورقةً مجعدة كُتب فيها:

«عزيزي السيد هولمز:

أنا متلهفة جداً للحصول على رأيك بخصوص قبولي للعمل كمربية أو رفضه. سوف أقوم بزيارتك السّاعة العاشرة والنّصف غداً إذا لم يكن لديك مانع.

المخلصة فيوليت هنتر»

سألته بعد أن انتهيت من القراءة: هل تعرف هذه الشّابة؟

- أنا لا أعرفها.

- إنّها العاشرة والنّصف الآن.

- أجل، ولا شك أنّها من يرن على الجرس الآن.

- يمكن أن يكون الأمر في نهاية المطاف موضوعاً مهمّاً، هل تذكر مغامرة العقيق الأزرق التي كانت في بدايتها تبدو مجرّد نزوةً ثمّ تحوّلت إلى تحقيقٍ خطيرٍ؟ يمكن أن يكون الأمر كذلك هذه المرّة أيضاً.

حسناً، دعنا نرجو ذلك.



فتح الباب لتدخل منه شابةٌ صغيرةٌ بملابس بسيطة ووجه مشرق يكسوه النّمش وتلوح عليه أمارات الذّكاء، وبدا من أسلوبها أنّها امرأة تشق طريق حياتها بثبات وعزيمة.

قالت حين وقف صديقي لتحيّتها: أنا متأكدة أنك ستعذرني لما سببته لك من إزعاج، لكنّي مررتُ بتجربةٍ

غريبةٍ واعتقدتُ أنّك قد تتكرّم وتنصحني بما يجب أن أفعل، فأنا يتيمة ولا أقارب لي يمكن أن أطلب نصيحتهم.

- أرجو أن تجلسي ياآنسة هنتر، سأكون سعيداً بمساعدتك.

انتبهتُ إلى أنَّ هولمز أُعجب بأسلوب عميلته المميّز، ونظر إليها باهتمامٍ فيما كان يجلس ليستمع إليها.

قالت: أنا أعمل مربيةً منذ خمس سنوات عند عائلة الكولونيل سبنس مونرو، لكن منذ شهرين تلقّى الكولونيل عرضاً للعمل في هاليفاكس في كندا وسافر مصطحباً أولاده معه، وهكذا وجدت نفسي بلا عمل، فوضعت إعلان توظيف في الصحف لكن دون جدوى.. وأخيراً بدأ ما كنت قد ادّخرته من مالٍ بالنّفاذ وأعيتني الحيلة في التّفكير بما يجب أن أفعله.

توجد في الجانب الغربي من المدينة وكالة جيدة لتوظيف المربيات تديرها الآنسة ستوبر، وقد اعتدتُ أن أذهب إليها مرّةً في الأسبوع لأرى إن كان لديها فرصة عملٍ مناسبةٍ لي، وعمل الآنسة ستوبر أن تأتي إليها النّساء اللواتي يردن وظيفة فترى مايناسب كلاً منهنّ وتعرضها عليها.

عندما ذهبت إليها في الأسبوع الماضي وجدتُ أنّها لم تكن وحدها بل كان بجوارها شخصٌ بدينٌ بوجهٍ بشوش للغاية، وقد وضع نظارة يراقب من خلفها النّساء الدّاخلات إلى المكتب

بعناية، وعندما دخلتُ قفز عن كرسيه وقال للآنسة ستوبر: هذه ستفي بالغرض، إنّه أفضل ماريناسبنا، ممتاز.. ممتاز! بدا متحمِّساً جدّاً وفرك يديه بطريقةٍ لطيفةٍ، كان مظهره مريحاً وليس فيه ما يدعو للرِّيبة، وسألني: هل تبحثين عن وظيفةٍ أيّتها الشّابة؟



- نعم يا سيدي.

- كمربية؟

- نعم يا سيدي.

- وما هو الأجر الذي تطلبينه؟

- كنت أتقاضى أربعة جنيهات في الشّهر عندما أعمل مع الكولونيل سبنس مونرو.

فصاح وهو يلوِّح بيديه منفعلاً: آه هراء، هذا هراء. إنّه أجرٌ بخس مقابل آنسة لديها مميزاتك وإنجازاتك.

فأجبتُ بدهشةٍ: انجازاتي! أخشى أنّي لست بالمستوى الذي تتصوّرهُ يا سيدي، فأنا لا أجيد سوى القليل من الألمانية والفرنسية، إضافةً إلى الرّسم والموسيقى.

فصاح: هُراء! هذا كلّه لا علاقة له بالأمر... المهم هو أنّكِ تتصرّفين كسيِّدةٍ محترمة أم لا، هذا هو الأمر المهم. فإذا لم تكوني كذلك لن تكوني صالحةً لتربية طفل، لكن إن كنت كذلك فكيف يمكن لأي سيد أن يطلب منك التّنازل عن أجر فيه أقل من ثلاثة أرقام أي مئة فأكثر؟ إنّ راتبك ياسيدتي سيبدأ معي بمئة جنيه في العام.

طبعاً يُمكنك أن تتصوّر ياسيّد هولمز سعادتي بهذا العرض الأكثر من رائع في توقيتٍ ممتاز بالنّسبة لي بعد أن كنت على

وشك الإفلاس، ثمّ فتح الرّجل محفظته وأخرج منها ورقةً بخمسين جنيهاً وقال: من عادتي أن أعطي من يعملون معي نصف أجرهم مقدّماً حتّى يتمكّنوا من تجهيز أنفسهم من أجل رحلتهم وملابسهم.

بدا لي أنّي لم أقابل شخصاً بهذه الرّوعة في حياتي، فقد كنتُ أدين لبعض التّجار الذين أتعامل معهم، وكانت السلفة على الرّاتب ملائمةً جدّاً وضعي، لكن كان هناك شيء غير طبيعي بخصوص هذا العمل جعلني أرغب بمعرفة المزيد عنه قبل أن ألزم نفسي به، فقلتُ له: هل لي أن أسألك عن مكان إقامتك يا سيِّدي؟

- في موقع ريفي ساحر في هامبشاير، اسم منزلي (أشجار الزّان النّحاسيّة) وهو على مسافة خمسةِ أميالٍ من وينشستر.. إنّه منزلٌ ريفيٌ قديم يقع في أجمل مناطق الرّيف.

- وماذا عن واجباتي يا سيدي؟ يسرُّني أن أعرف شيئاً ماعنها.

- إنّه طفلٌ وحيدٌ، طفل صغير ينبض بالحيوية وهو في السّادسة من العمر، آه لو رأيته وهو يقاتل الخنافس.. اضرب، اضرب، اضرب، في الحال تكون ثلاث منها قد قُتِلت على الفور!

ثـمّ أرجـع رأسـه إلى الخلـف وبدأ يضحـك بقـوّةٍ و أعترف بـأنّي صُدمـتُ قليـلاً مـن طريقـة تسـلية الطّفـل هـذه، لكـن ضحـك الأب جعلنـي أعتقد أنّـه ربما كان يمزح. فسـألته قائلةً: إذن سيكون واجبي رعاية طفل وحيد؟

فصاح قائلاً: لا، لا ليسـت هذه مهمّتـك الوحيدة ياعزيزتي، سـيكون عليـك إطاعـة زوجتي بما تأمـرك به، وأعـدك أن تكون أوامرها ضمن حدود اللّباقة، الأمر ليس صعباً، فما رأيك؟

- يسعدني أن أكون مفيدة.

- تمامـاً، وعـلى سـبيل المثـال بالنّسـبة للملابـس، نحـن مهووسـون... نعـم، لكنّنـا طيبـون، فهـل سـتعترضين عـلى نزواتنـا الصّغـيرة لـو طلبنـا منـكِ مثـلاً أن ترتـدي ثوبـاً نُقدِّمـه لكِ؟

فقلت فيما السرور والدّهشة يتملكانني: لا!

- ولـن تشـعري بالإهانـة إن طلبنـا منـك الجلـوس هنـا أو هناك؟

- آه، لا.

- أو إذا طلبنـا منـك قص شـعرك ليصبـح قصيراً جـدّاً قبل قدومك؟

لم أصـدِّق هـذه الجملـة الاخيرة، فكـما تلاحظ يا سـيِّد هولمز

شعري غزير ولونه كستنائيٌ جميل، ولا أفكر مطلقاً بالمساس به مهما كلّف الأمر. فقلت: أخشى أنّ هذا مستحيلٌ تماماً !

كان يُراقبني بلهفةٍ واستطعت أن ألتقط هجوم الكآبة على وجهه مع كلماتي الرّافضة للطّلب، ثمّ قال: أخشى أنّ هذا أمرٌ أساسي. إنّها رغبة أو نزوة زوجتي، ونزوات السّيدات كما تعرفين يا سيدتي يجب مراعاتها، أنت لن تقصي شعرك إذن؟

أجبتُ بشكلٍ صارمٍ: لن أفعل يا سيدي، لا أستطيع القيام بذلك بصدق.

آه، هذا يحسم الأمر، إنّه يدعو للأسف! فقد كنتِ مناسبةً تماماً من النّواحي الأخرى، من الأفضل أن أقابل الأخريات يا آنسة ستوبر.

حتّى هذه اللحظة كانت الآنسة ستوبر مشغولة بأوراقها ولم تشارك بالحديث، لكنّها نظرت إليّ والضّيق الشّديد يكسو قسماتها، لدرجة ظننت فيها أنّ رفضي تسبّب بخسارتها لعمولةٍ ضخمةٍ، وسألتني قائلةً: هل أنت مهتمة ببقاء اسمك في سجلات الباحثات عن عمل؟

نعم، لو سمحت يا آنسة ستوبر.

ففالت بحدّة: إنّ الأمر يبدو بلا فائدة لرفضك أفضل

العـروض بهـذه الطّريقـة، لا يمكنـك أن تتوقعـي منـا أن نؤمِّن لـك فرصةً أخرى مثـل هـذه، أتمنّى لـكِ يوماً سـعيداً يا آنسـة هنتر، ثمّ قرعت الجرس فرافقني الخادم إلى الخارج.

حسـناً ياسـيد هولمز، حـين عـدتُ إلى منـزلي ونظـرتُ في وضعـي المـزري والفواتـير التـي يجـب أن أدفعهـا، بـدأتُ ألوم نفسي على تـصرفي الأرعن، فعـلى الأقل أولئك غريبـي الأطوار عـلى اسـتعداد ليدفعـوا مُقابـل نزواتهـم الغريبة، وتسـاءلت كم من المربيات في انكلترا يتقاضين مئة جنيه في العام؟

قليـلٌ جـدّاً بالطّبـع، ثـم مـاذا سـيفيدني شـعري؟ كثيرات يصبـح شـكلهنّ أفضـل عندمـا يقصـص شـعرهنّ وقـد أكون إحداهن.

وفي اليـوم التّـالي أصبحـتُ عـلى قناعةٍ بـأنّي ارتكبـتُ خطأ، وفي اليـوم الـذي تـلاه تأكّدتُ من ذلـك، وكنت على وشـك أن أتغلّـب عـلى كبريائـي وأذهـب إلى الوكالة للاستفسـار عـمّا إذا كانـت الوظيفـة مازالـت متاحة أم لا حـين وصلتني رسـالةً من السيِّد المحترم نفسه. إنّها معي هنا وسوف أقرأها لكم:

منزل (أشجار الزّان النّحاسيّة) وينشستر

«عزيزتي الآنسة هنتر:

لقـد تكرّمت الآنسـة سـتوبر وأعطتني عنوانـك، وأنا أكتب

لـك من هنا لأسـألك إذا كنـت قد أعـدتِ النّظر في قـرارك، إنّ زوجتـي متلهفـةٌ لمجيئك، فقد سـحرها وصفي لـك. نحن على اسـتعداد لدفع ثلاثين جنيهـاً كل ثلاثة أشـهر، أي مئة وعشرين جنيهـا كل عـام، وذلـك لنعوضـك عـن أي انزعـاج ناتـج عن نزواتنا، بالرّغم من أنّها ليست قاسية جدّاً.

إنّ زوجتـي تحـب اللّـون الأزرق الحديـدي وتريـد منـكِ أن ترتـدي ثوبـاً بهذا اللّـون داخل المنـزل في الصّباح، ولـن نُكلّفك عنـاء شراء هـذا الثّوب عـلى كل حـال، فلدينـا واحـد يخـص ابنتنـا العزيـزة أليـس وهـي تقيـم الآن في فيلادلفيـا، وهـو سيناسبك تماماً كما أعتقد.

أمّـا بالنّسـبة للجلـوس هنا أو هناك، أو لتسـلية نفسـك بأي طريقـةٍ يُشـار عليـكِ بها فـلا حاجة إلى أن يُسـبِّب لـك ذلك أي إزعـاج، وفيـما يخص شـعرك فهذه خسـارة ولا سـيما أنّـه جميل، لكنّـي مضطرٌ لـلإصرار على هـذه النّقطـة، وأتمنّـى أن تعوضك زيـادة الرّاتـب عن هذا، أمّـا واجباتك تجـاه الطفل فهي بسـيطةٌ جـدّاً. والآن أرجـو أن تحـاولي المجيء، سـوف أكـون بانتظارك برفقـة عربـة صغيرة في وينشسـتر إذا أخبرتنـي بموعد وصولك بالقطار.

المخلص: جيفرو روكاسل»

هـذا كل مـا جـاء في الخطاب يا سـيد هولمز، وقد قـرّرت أن

أقبل العرض، لكنّي فكّرت باستشارتك في هذا الأمر كلّه قبل أن أقوم بأي خطوة.

قال هولمز مبتسماً: حسناً يا آنسة هنتر، إنّ قرارك بالقبول يحسم الأمر.

- ولكن ألن تنصحني بالرّفض؟

- أعترف بأنّي ما كنت لأفضّل أن تقبل أختي بهذه الوظيفة.

- لكن ما هو تفسيرك للأمر يا سيد هولمز؟

- لا أملك ما يكفي من معلومات وكنتيجة لا يمكنني التّكهن، ربما كنتِ قد توصّلتِ بنفسك إلى رأي بهذا الموضوع؟

- حسناً، لقد فكّرت فاهتديتُ إلى احتمالٍ واحدٍ ممكن، بما أنّ السيد قد بدا ذو طباع جيّدة ولطيفة، لكن ألا يمكن أن تكون زوجته مجنونة وهو يحاول أن يتعايش مع هذا الوضع خشية إدخالها مستشفى المجانين، لذلك يقوم بتلبية كل ما تطلبه حتّى لا تتدهور حالتها؟

- من الممكن أن يكون هذا أمراً معقولاً جدّاً، لكن مهما كان الأمر، لا تبدو لي العائلة لطيفة.

- لكن المال يا سيد هولمز.. المال.

- حسناً، الرّاتب جيدٌ جداً بالطّبع وهذا ما يقلقني، فلماذا يدفعون مئة وعشرين جنيها في العام مقابل خدمات يمكن أن يحصلوا عليها بأربعين جنيها فقط ؟ لا بد أنّ لديهم سبباً قويّاً يدفعهم لذلك.

- لقد فكرت أنّي لو أخبرتك بالأمر فسوف تُساعدني في مراحل لاحقة إن احتجت المساعدة، سأشعر بأنّي أقوى إذا علمت أنّكَ تُساعدني.

- يمكنك الاعتماد على ذلك، وأنا أؤكد لك أنّ مُشكلتكِ الصّغيرة تبدو وكأنّها أكثر القضايا غرابةً من التي عالجتُها منذ أشهر، إنّ فيها شيئاً غريباً بالتّأكيد، فإذا وجدتِ نفسك في خطرٍ ما عليك...

- خطر؟ ما هو الخطر الذي تتوقعه؟

هزّ هولمز رأسه بجدٍ وقال: الخطر يزول عندما نُحدِّد طبيعته و المهم.. سوف أوافيكِ عندما تُرسلين لي برقيةٍ إذا احتَجتِ لي.

نهضت عن كرسيها بسرعةٍ وقد اختفى كل القلق الذي كان مُرتسماً على وجهها وقالت: هذا يكفيني، سأذهب إلى هامبشاير وأنا مطمئنة الآن، سأكتب إلى السيد روكاسل حالاً، كما سأضحي بشعري اللّيلة لأذهب إلى وينشستر غداً.



ثـمّ تمنّـت لنـا ليلـةً سـعيدةً بعـد أن أبـدت امتنانهـا لهولـمز، وانطلقت في سبيلها بنشاط.

قلت: على الأقل تبدو قادرةً على الاعتناء بنفسها.

فقـال هولـمز باهتـمام: سـتحتاج إلى ذلـك، أنـا متأكـد تقريباً أننا سوف نسمع منها خلال أيّام قليلة.

ولم يمر وقتٌ طويل حتّى تحقّقت نبوءة صديقي بالفعل.

مرّ أسـبوعان كنـتُ خلالهـما متعجباً مـن التّجربة الإنسـانيّة الغريبـة التـي عاشـتها تلك الشّـابة الوحيـدة، فالرّاتـب الكبير،

والشروط المثيرة للفضول، بالإضافة إلى الواجبات البسيطة كلّها أشياء تُشير إلى وجود شيء غير عادي، بالرّغم من عجزي عن تحديد ما إذا كان في الأمر مجرّد نزوة أو مؤامرة، وماذا لو كان سيِّدها الجديد شخصاً جيِّداً أم شريراً؟

أمّا بالنّسبة لهولمز فكان الأمر مختلفاً، وغالباً ما كان يغرق في التّفكير بالموضوع ثمّ يلوِّح بيده في الهواء ويصيح بنفاذ صبر: معلومات، معلومات... لا يمكنني البناء دون الحجارة والإسمنت، لكنّه كان يختم كل مرّة نقاش الأمر بالقول أنّها لو كانت أخته لما جعلها تقبل الوظيفة.

وصلت البرقية التي استلمناها أخيراً بوقتٍ متأخر من الليل حيث كنت على وشك النوم وهولمز يستعد للقيام ببعض التجارب الكيميائية التي قد تستغرق من وقته كل اللّيل.

فتح هولمز البرقية وقرأها ثمّ ناولني إيّاها قائلاً: أرجو أن تسأل عن مواعيد رحلات القطار في دليل براشو، هل سترافقني؟

أجبت: نعم، أتمنّى ذلك.

كانت البرقية نجدة عاجلة وكان نصها: أرجو أن تحضر إلى مقهى البجعة السّوداء في منتصف الظّهيرة غداً، أرجو أن تأتي، فأنا لا أعرف ماذا أفعل، هنتر.

قلت وأنا أنظر في دليل براشو: هناك رحلة في التّاسعة والنّصف صباحاً وتصل إلى وينشستر في الحادية عشرة والنّصف.

- هذا مناسب تماماً، من الأفضل تأجيل تجاربي الكيماوية والاستراحة لأكون بأفضل لياقة في الصّباح.

كنا قد قطعنا شوطاً كبيراً في الحادية عشرة صباحاً من اليوم التّالي ونحن في طريقنا إلى عاصمة إنكلترا القديمة، وكان هولمز مستغرقاً في مطالعة صحف الصّباح طوال الرّحلة، لكن عندما عبرنا حدود هامبشاير ترك الصّحف وبدأ يمتع ناظريه بمشاهد الرِّيف الخلابة.

كان يوماً مثاليّاً من أيّام الرّبيع فالشّمس تسطع بصفاء، والسّماء خالية إلا من بضع غيوم خفيفة، ومشاهدة الرّيف والمنازل المتناثرة هنا وهناك رائعة لدرجة جعلتني أقول: أليست هذه البيوت رائعة الجمال؟

هزّ هولمز رأسه موافقاً وقال: أتعلم أمراً يا واطسون، أحد مساوئ طريقتي في التّفكير هي اضطراري لرؤية كل شيء من زاوية الموضوع الذي تخصّصت فيه، فأنت تنظر إلى جمال البيوت، فيما أنا أراها متباعدة عن بعضها، وأنّ أي جريمة قد تُرتكب هنا بسهولة دون أن يكتشف الأمر أحد.



فصحتُ به قائلاً: يا إلهي يا رجل ! من يمكن له أن يربط بين هذه المنازل الجميلة والجريمة ؟

- إنّها تُسبِّب لي رعباً على الدّوام، حسب رأيي وخبرتي يا واطسون فإنّ أكثر الجرائم إثارة للرعب تحدث في الرّيف الجميل، وليس في أزقة لندن الموحلة والضّيقة.

- أنت تخيفني حقاً!

- هل تعلم السّبب؟ إنّه واضح، فضغط الرأي العام يحقِّق في المدينة ما يعجز القانون عن تحقيقه، فصرخة طفل صغير في زقاق تثير تعاطف كل الجيران، والشرطة تصل بسرعةٍ إلى المكان. كذلك فالمسافة في لندن قصيرة بين الجريمة وقفص الاتهام، لكن في الرّيف ومع هذه المنازل المنعزلة والحقول المليئة بالنّاس الذين لا يعرفون إلا القليل عن القانون، يمكن للعمل الشرير أن يعيش لسنوات طويلة دون أن يكتشفه أحد، ولو كانت هذه الفتاة التي طلبت مساعدتنا ذاهبة إلى مدينة وينشستر لما كنت خائفاً عليها، لكن الخطر يكمن في تلك الأميال الخمسة من الريف، رغم أنّه من الواضح أنّها ليست شخصيّاً المعرضة للخطر.

- نعم، بما أنّها تستطيع القدوم لمقابلتنا في وينشستر فهذا يعني أنّها ليست هي المعرّضة للخطر.

- بالضّبط، فهي تتمتّع بحريّتها.

- ماذا يمكن أن يكون الأمر إذن؟ ألا تستطيع التّوصل إلى أي استنتاج؟

- لقد توصّلتُ إلى سبعة استنتاجات مختلفة، كلٌ منها يُغطِّي الواقع التي نعرفها، لكن لا يمكن تحديد الصّحيح منها دون معلوماتٍ جديدة سنحصل عليها من الفتاة قريباً، ها قد اقتربنا وسنعرف كل ما لدى الآنسة هنتر قريباً.



كان مقهى البجعة السّوداء معروفاً في الشّارع العام ولا يبعد عن المحطّة كثيراً، وما أن وصلنا حتّى رأينا الشّابة بانتظارنا وقد حجزت ركناً للجلوس، كان غداؤنا ينتظرنا على الطّاولة.

قالت بامتنان: أنا سعيدة للغاية لقدومكما، هذا لطفٌ شديد منكما، في الواقع لا أعرف ما يجب أن أفعل، وستكون نصيحتك ثمينةٌ جدّاً.

- أرجو أن تخبرينا بما حدث.

- سأفعل ذلك بسرعةٍ لأنّي وعدتُ السيّد روكاسل بالعودة قبل الثّالثة، وقد حصلت على إذنه بالقدوم إلى هنا هذا الصّباح لكنّه لا يعرف السّبب.

قال هولمز: أرجو أن تخبرينا كل شيء بالتّفصيل.

- في البداية يجب أن أقول أنّ السّيد والسيدة روكاسل لم يُسيئا مُعاملتي أبداً، وذلك حتّى أكون منصفة بحقهما، لكنّي لا أستطيع أن أفهمهما ولست مطمئنة لهما أيضاً.

- ما الذي لا تفهمينه؟

- التّصرفات غير المبررة... سأروي لكما الأمر كما حدث؛ عندما جئت هنا، قابلني السيد روكاسل واصطحبني بعربته إلى منزل (أشجار الزّان النُّحاسيّة)، وهو موقع جميل،

لكنّ المنزل بحدِ ذاته غير جميل أبداً، وبالرّغم من أنّه مطلي من الخارج باللّون الأبيض، إلا أنّه مليء بالبقع والخطوط النّاتجة عن الرطوبة والجو السّيء، كما تحيط بالمنزل حديقة، بل هو محاطٌ بالغابات من ثلاث جهات، أمّا الجهة الرّابعة فيوجد فيها حقلٌ ينحدر حتّى يصل إلى الطّريق السريع المؤدي إلى ساوثهامبتون والذي ينعطف نحو مئة متر من الباب الأمامي، هذه الحديقة الأماميّة تابعة للمنزل، أمّا الغابات التي تحيط به من باقي الجهات، فهي جزء من محمية اللّورد سوذرتون، وقد سُمي المنزل (أشجار الزّان النّحاسيّة) بسبب مجموعة أشجار الزان ذات الأوراق النّحاسيّة اللّون التي ترتفع أمام باب القاعة مباشرة.

أوصلني السيّد روكاسل الذي كان ودوداً للغاية ثمّ قدّمني إلى زوجته وابنه الصّغير، لم يصح توقعي أنّ السّيدة روكاسل مجنونة، بل وجدتها امرأة شاحبة وصامتة وهي أصغر من زوجها بكثير، فعمرها لا يتجاوز الثّلاثين، فيما هو يبلغ حوالي 45 عاماً، فهمتُ من حديثهما أنّهما متزوجان منذ سبع سنوات، وأنّه كان أرمل ولم ينجب من زوجته الاولى سوى ابنة واحدة ذهبت إلى فلادلفيا، وقد أخبرني السيّد روكاسل أنّهما قد تركتهم بسبب كراهيتها غير المنطقية لزوجته، وبما أنّ الابنة لا يمكن أن يتجاوز عمرها العشرين

فيمكننا تخيل صعوبة العلاقة بينها وبين زوجة أبيها.

كانت شخصيّة السيدة روكاسل باهتة وبلا ملامح، كما أنّها لم تترك في نفسي أثراً سلبياً أو إيجابياً، وكانت بلا أهمية تذكر في المنزل، وكان من السّهل ملاحظة أنّها متفانية لأبعد الحدود في خدمة زوجها وابنها، فقد كانت عيناها الرّماديتان تنتقلان دوماً بين زوجها وابنها لترى إن كان أحدهما بحاجة لشيء قد تتمكّن من تحقيقه لهما، وكان زوجها يعاملها بلطف وقد بدا بالإجمال أنّهما زوجان سعيدان.

ورغم ذلك، كان واضحاً أنّ في قلب المرأة حزناً غامضاً، فغالباً ما كانت تغرق في تفكيرٍ عميقٍ وتشرد. وقد فاجأتها أكثر من مرة وهي تبكي، اعتقدتُ لفترةٍ أنّ صعوبة معاشرة ابنها هي سبب بكائها وتعاستها، فهو سيء الطّباع إلى درجةٍ لا يتصورها عقل، لأنّه مدلل بشكلٍ كبيرٍ، لقد كان صغير الحجم بالنّسبة لسنّه، لكنّ رأسه كان أكبر مما يجب أن يكون، وكان يقضي وقته بين نوبات وحشيّة من الانفعال، وفترات من العبوس والكآبة، وكانت متعته الوحيدة هي أن يسبب الألم إلى كل المخلوقات الأضعف منه، وقد أبدى مهارةً كبيرةً في التّخطيط للإمساك بالفئران والطّيور الصّغيرة والحشرات، أنا حقاً لا أفضّل أن أتحدّث كثيراً عن هذا المخلوق يا سيد هولمز، إنّه يثير اشمئزازي كما أنّه لا علاقة له بالموضوع.

علّـق هولمـز قائلاً: أنا سـعيد بـسردك لهذه التّفاصيل، سـواء بدت لكِ مهمة أم غير مهمة.

سأحاول ألا أنسى أي تفصيل، الأمر الأول السيء الذي لفت انتباهي مظهر الخدم وطريقة تعاملهم، هناك اثنان فقط رجلٌ وزوجته، الرّجل اسمه تولر، شخصٌ فظٌ أشيب الشّعر، تفوح رائحة الخمر منه على الدّوام، لكنّ السّيد روكاسل لا يُبدي اهتماماً به إذا ثمل، أمّا زوجته فهي طويلةٌ وقويّةٌ، لها وجهٌ بشع وهي صامتة مثل السيدة روكاسل لكنّها أقل لطفاً منها. لحسن الحظ لا أقضي معهما وقتاً طويلاً لأنّي في غرفة الحضانة أو غرفتي الخاصة وهما بالمناسبة متجاورتان.

لم يحـدث ما يعكّـر صفو حياتي في اليومـين الأولين لوجودي في المنـزل، أمّـا في اليوم الثّالث همسـت السّـيدة روكاسـل شـيئاً لزوجهـا بعـد الإفطـار، فقال وهـو يلتفـت ناحيتي: إنّنـا ممتنون لـكِ كثـيراً يـا آنسـة هنتر لأنّـكِ قمـت بقـص شـعرك، وأؤكد لـكِ أنّ مظهـرك أصبح أجمل، سـنرى الآن كيف سـيبدو الثّوب الأزرق الحديـدي عليـك، سـتجدينه في غرفتـك وسـنكون شاكرين لو تكرّمتِ بارتدائهِ.

كان لـون الثّـوب غريبـاً مع تدرجـات اللـون الأزرق، رغم أنّ القـماش مـن النّـوع الممتـاز، لكن مـن الواضح أنّه مسـتعمل وليـس جديداً، كان مقاسـه مثاليّاً بالنّسـبة لي وطبعاً كان السّـيد

والسيّدة روكاسل سعيدين للغاية برؤيته عليّ. كانا بانتظاري في غرفة المرسم، وهي غرفةٌ واسعةٌ جدّاً تمتد على طول الواجهة الأماميّة للمنزل، وفيها ثلاث نوافذ عالية وتصل حتّى الأرض، وكان هناك كرسي مقابل النّافذة الموجودة في الوسط طلب مني الجلوس عليه وبعد ذلك أخذ السيّد روكاسل يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً ويروي لي أكثر القصص إثارةً للضّحك سمعتها في حياتي، لا يمكنك أن تتخيل كم كان مضحكاً لدرجة أنّي ضحكت حتّى نال مني التّعب، أمّا السيّدة روكاسل التي كان من الواضح أنّها لا تملك حس الدُّعابة، فلم تبتسم حتّى وبقيت جالسةً عاقدةً يديها على حجرها، تعلو وجهها نظرةٌ حزينةٌ وقلقة، وبعد حوالي السّاعة قال السيد روكاسل فجأة أنّه قد حان الوقت للبدء في الواجبات اليومية الخاصة بي، وأنّه بإمكاني أن أغيِّر ثوبي والذّهاب إلى الصغير إدوارد في غرفة الحضانة.

بعد ذلك بيومين كرّرنا نفس المشهد، لكن في نهاية الأمر أعطاني السيد روكاسل كتاباً ذا غلافٍ أصفر، وتوسّل إلي كي أقرأ له بصوتٍ عالٍ، بدأتُ القراءة من منتصف أحد فصول القصة ولمدة عشر دقائق حتّى أمرني فجأة بالتّوقف.

يمكنك أن تتصوّر يا سيد هولمز مدى الفضول الذي اعتراني لأعرف سبب هذه التّصرفات الغريبة، لقد لاحظت في المرّتين أنّ

الكرسي الذي أجلس عليه كان ظهره دوماً للنّافذة، كما حرصا على ألا أنظر إلى النّوافذ، لذلك رغبت بشدة أن أرى مايدور خلف ظهري وابتكرت وسيلةً لتحقيق ذلك.



أخفيتُ قطعةً من مرآتي المكسورة في منديلي وفي المرة التّالية لنفس ما حدث في المرتين الأوليتين وبينما كنتُ أضحك بشدة، رفعت يدي الممسكة بالمنديل وقطعة المرآة وتمكّنتُ من رؤية ما يجري خلفي.

أصبتُ بخيبة أمل فلم يكن هناك أي شيء!

على الأقل هذا ما رأيته في المرة الأولى، إلا أنّي لا حظتُ حين نظرتُ ثانيةً أنّ هناك رجلاً يقف على طريق ساوثهامبتون، كان رجلاً ضئيلاً ملتحيّاً يرتدي بذلة رماديّة، بدا وكأنّه ينظر باتّجاهي بتركيز وهو متكئٌ على سور حديقة المنزل.

أنزلتُ منديلي ونظرتُ إلى السيِّدة روكاسل فرأيتُ عينيها مثبتين علي بشكلٍ تام، ورغم أنّها لم تقل شيئاً، فقد كنتُ متأكدةً أنّها كشفت لعبتي الصّغيرة المتعلّقة بقطعة المرآة في يدي، فوقفتْ على الفور وقالت: جيفرو، إنّ هناك شخصاً وقحاً على الطّريق يحدّق إلى الآنسة هنتر.

سألني قائلاً: هل هو أحد أصدقائك ياآنسة هنتر؟

فقلت: لا، أنا لا أعرف أحداً في هذه المنطقة.

- يا إلهي، يا لها من وقاحة! أرجو أن تستديري وتشيري له كي يبتعد.

- من الأفضل ألا نعيره أي اهتمام.

فأجاب السيد روكاسل: لا، لأنّه سيتسكّع هنا طوال الوقت بعد ذلك، أرجو أن تستديري وتلوحي له هكذا حتّى يبتعد.

فعلتُ كما طلب وبعد ذلك أغلقت السيدة روكاسل الستارة. لقد حدث هذا منذ أسبوع ومنذ ذلك الحين لم أعد أجلس في الغرفة، ولم أرتد الثّوب الأزرق، ولم أرَ الرّجل الذي كان في الشّارع مرّةً أخرى، هذا ما حدث بالضّبط يا سيد هولمز.

فقال هولمز: تابعي أرجوك، تبدو قصّتك مبشرة بكثيرٍ من الإثارة والتّشويق.

- لكنني أخشى أنّك ستجد أحداثها غير مترابطة إلى حدٍ ما، وقد لا يكون هناك أي صلة فيما بينها..

ففي اليوم الأول لوصولي، أخذني السّيد روكاسل إلى ملحق خارجي صغير يقع بالقرب من باب المطبخ، وفيما نحن نقترب سمعت صوتاً حادّاً لسلسة ربط بها حيوان ضخم يتحرّك في المكان، ثمّ قال السّيد روكاسل وهو يشير إلى شق بين لوحين خشبيين: انظري إلى الدّاخل، أليس مخلوقاً جميلاً؟

نظرتُ عبر الشق فرأيتُ هيئةً غير واضحةً رابضةً في الظّلام، فقال السّيد روكاسل وهو يضحك حيث تراجعتُ من الرّعب إلى الخلف: لا تخافي، إنّه ليس سوى كلبي كارلو، إنّه من نوع الدرواس، الوحيد الذي يتعامل معه خادمي العجوز تولر، نحن نطعمه كميّةً قليلة لمرّة واحدة في اليوم حتّى يبقى شرساً، وفي اللّيل يطلق تولر سراحه، لذلك إياكِ أن تخرجي من البيت ليلاً مهما كان الأمر.

لم يكن التّحذير تافهاً فقد تصادف بعد ليلتين في ليلةٍ مُقمرةٍ كنتُ أنظر من نافذة غرفتي مستمتعة بجمال المشهد عندما لاحظتُ شيئاً يتحرّك تحت ظلال شجرة الزّان ذات الأوراق النُّحاسيّة، وخرج إلى الضّوء كلبٌ عملاق بحجم العجل، لونه بني فاتح وله ثنية من الجلد عند ذقنه، كان وجهه أسود مخيف وعظام وجهه بارزة، سار ببطء عبر المرج ليختفي عند الجانب الآخر، لقد سبّب لي هذا الكلب رعباً ما كان ليسببه أي لص محتمل.

أمرٌ آخر.. كما تعرف لقد قصصتُ شعري في لندن، قمت بوضع الشّعر المقصوص في لفّةٍ كبيرةٍ ضمن صندوق ملابسي، في أحد الليالي كنت أتفحّص أثاث غرفتي وترتيب أغراضي، كان في الغرفة خزانة ملابس ذات أدراج، وكان الدّرجان العلويان فارغين ومفتوحين، أمّا السفلي فكان

مغلقاً، فملأتُ الدّرجين الأول والثّاني بملابسي، وانزعجتُ طبعاً لأنّ بقيّة أغراضي ليس لها مكان بسبب إغلاق الدّرج الثّالث، فخطر لي أنّه ربما مغلق بشكلٍ غير متعمّد فحاولت فتحه بمفاتيحي.



فكان أول مفتاح جربته مناسباً ففتحت الدرج، ولم يكن فيه سوى شيء واحد، ولمفاجأتي الكبيرة وجدتُ فيه لفة الثّياب التي تحوي شعري الذي تركته في صندوق ملابسي في نفس الغرفة!

رفعتُ اللّفة وتفحّصتها، كانت من نفس درجة اللّون والكثافة، لكنّي لم أصدّق أنّ هذا ممكن! فكيف يكون شعري موجوداً داخل الدّرج المغلق؟ نهضتُ ويداي ترتجفان وفتحت صندوقي وأخرجتُ محتوياته لأسحب شعري من أسفله، ثمّ وضعتُ الضفيرتين معاً.. أؤكّد لكَ أنّهما متطابقتين تماماً، أليس هذا أمر بمنتهى الغرابة؟

لقد تملكتني الحيرة ولم أستطع استدراك أو فهم معنى هذا الأمر، فأعدتُ الشّعر الغريب إلى الدّرج ولم أقل شيئاً للزّوجين، فقد شعرتُ أني نفسي بموقف سيء لأنّي فتحتُ الدّرج الذي حرصا على إغلاقه.

ربما كنتَ قد لاحظتَ يا سيّد هولمز أنّني حادّة الملاحظة بطبيعتي، وهكذا فقد رسمتُ في عقلي خريطةً جيّدةً جدا للمنزل، كان فيه جناحي الذي ظهر أنّه غير مأهول تماماً، وكان الباب المقابل للباب الذي يؤدي إلى سكن الزوجين تولر يفتح على هذا الجناح، لكنّه كان مغلقاً على الدّوام، إلا أنّي رأيت السيد روكاسل يفتحه مرة ويخرج منه حاملاً بيده

مفاتيحه وعلى وجهه نظرةً مختلفةً تماماً عن تلك التي اعتدتُ رؤيتها عليه من بشاشةٍ وحبور، لقد كان خارجاً وعلامات الغضب الشّديد واضحةٌ على مُحيّاه، ومرّ بجانبي دون أن ينبس ببنت شفة.

أثار هذا الأمر فضولي لذلك وعندما خرجتُ لأتنزّه في الحديقة مع الطفل تعمّدتُ التّوجه إلى المكان الذي يُمكنُني من رؤية نوافذ ذلك الجناح.

كان هناك أربعة نوافذ ثلاثة منها متّسخة والرّابعة مغلقة بستارةٍ وأقفال، لكن كان من الواضح أنّ الغرف كلّها مهجورة، وفيما كنت أتنزه وأنا أنظر إلى النّوافذ، خرج السيد روكاسل والمرح بادٍ على وجهه كالعتاد وقال: آه، أرجو أن تعذريني لأنّي مررت بجانبك دون أن أحييك يا آنسة هنتر، فقد كنتُ مشغولاً بأمور العمل.

أكدت له أنّي لم أنزعج ثمّ قلتُ: بالمناسبة يبدو أنّ هناك جناحاً كاملاً في بيتك غير مأهول، إنّ نافذة إحداها مغلقةٌ بالمصاريع.

دُهش لملاحظتي أو بالأحرى جفل قليلاً لكنّه استعاد توازنه وهو يقول: لدي هواية في التّصوير الفوتوغرافي وقد حوّلت غرفتي المظلمة في الأعلى هناك إلى غرفة مونتاج، لكن أنتِ بالفعل شديدة الملاحظة! من كان ليصدق ذلك؟ من؟!

كان يتحدّث بنبرةٍ تحمل حس الدُّعابة لكنّي لم أرَ أثراً للمزاح في عينيه، بل رأيتُ فيهما شكّاً وضيقاً

حسناً يا سيّد هولمز، منذ تلك اللّحظة فهمتُ أنّ شيئاً ما بخصوص جناح الغرف ذاك أنا ممنوعةٌ من معرفته، لذلك كنتُ متلهفة وفضوليّة إلى أبعد الحدود، بل شعرتُ أنّ من واجبي أن أدخل ذلك المكان، وأنّ دخولي إليه سيكون أمراً جيّداً.

النّاس عادةً ما يتحدّثون عن غريزة المرأة، وربما كانت تلك الغريزة هي التي ولّدت هذا الشعور عندي.. بكل الأحوال، بدأتُ أتحيّن الفرصة لفتح ذلك الباب ورؤية ما ورائه، ولاحت الفرصة البارحة رغم أنّ الغرفة يستخدمها تولر وزوجته إضافةً إلى السّيد والسيدة روكاسل، فقد رأيتُ تولر في إحدى المرات يدخل الغرفة حاملاً بيده حقيبةً كبيرةً. ولاحظتُ شيئاً آخر أيضاً، أنّه أصبح يشرب الخمر بشكلٍ كبيرٍ مؤخراً وكان يوم أمس ثملاً للغاية، لذلك عندما صعدت إلى الدّور العلوي بالأمس ووجدت المفتاح بالباب عرفتُ أنّه نسيه هناك لأنّه ثملٌ للغاية.

كان السيد والسيدة روكاسل في الطّابق الأرضي والطفل معهما، فوجدتها فرصة سانحة، أدرتُ المفتاح بهدوء وفتحت الباب وتسلّلت إلى الدّاخل.

خلف الباب يوجد ممرٌ صغيرٌ أرضه غير مفرشة بالسجاد، وينعطف عند نهايته بزاويةٍ قائمةٍ حيث يوجد ثلاثة أبواب بجانب بعضها البعض.

كان البابان الأول والثّالث مفتوحين، ويؤدي كل منهما إلى غرفةٍ خاليةٍ مليئةٍ بالغبار، إحداهما لها نافذتين، والأخرى لها نافذةٌ واحدةٌ، وكان الغبار الكثيف يملؤها لدرجة أنّ ضوء المساء أو القمر كان وكأنّه يخبو من خلفها.

أمّا الباب الموجود في الوسط فكان مغلقاً وقد تمّ تثبيت أحد الأعمدة العريضة لسريرٍ حديدي على طول الجزء الخارجي منه، وقد ربط العمود على أحد طرفيه بحبلٍ متين، وتمّ تثبيته من الطّرف الآخر بقفلٍ مُعلّق بحلقةٍ في الجدار، ولم يكن المفتاح موجوداً في القفل.

كان هذا الباب هو باب النّافذة المغلقة بالمصاريع، وقد عرفتُ أنّ الغرفة ليست مظلمة لأنّي رأيتُ بصيص ضوءٍ يظهر من تحت عقب الباب، كان من الواضح أنّ في السّقف نافذةٌ تسمح بدخول الضّوء.

وبينما كنتُ أقف في الممر أحدّق إلى الباب وأتساءل عن السر الذي يخفيه خلفه، سمعتُ فجأةً صوت خطوات داخل الغرفة ورأيتُ ظلاً يتحرّك ذهاباً وإياباً من خلال الضّوء الخافت الذي يلمع من تحت عتبة الباب!



لقد شعرت يا سيد هولمز برعبٍ غير منطقي عندما رأيت ذلك، فاستدرتُ وركضتُ بسرعةٍ وكأنّ يداً شريرة تجري وتطاردني..

ركضت بسرعةٍ كبيرةٍ لأخرج من الممر مندفعة عبر الباب لأجد نفسي فجأةً بين ذراعَي السيد روكاسل الذي كان ينتظر في الخارج.

قال مبتسماً: كنتِ أنتِ إذن؟ لقد تأكدت من ذلك حين رأيتُ الباب مفتوحاً.

فقلت لاهثةً: آه، إنّني خائفةٌ جدّاً!

لا يمكنكَ أن تتصوّر كم كان لطيفاً وهو يحاول تهدئتي ليقول لي: يا سيدتي العزيزة... ما الذي سبّب لكِ كل هذا الخوف؟

كان واضحاً أنّه يُغالي في تملّقه لي، كان الأمر جليّاً في نبرة صوته، لذلك أصبحتُ حذرةً منه فقلت: يا لحماقتي! لقد دخلتُ إلى الجناح الخالي، ولكنّه موحشٌ جدّاً ومخيف في هذا الضّوء، فجفلت وخرجتُ بسرعةٍ خائفة، آه، إنّ الهدوء التّام في ذلك المكان يسبِّب الخوف.

نظر إليّ بحدّةٍ وقال: هذا فقط؟

فسألته: ماذا ؟ ماذا كنتَ تعتقد؟

- ولماذا تعتقدين أنّي أحكمت إغلاق هذا الباب؟

- بالتّأكيد لا أعرف.

- لمنع الذين لا عمل لهم هنا من الدّخول، هل فهمتِ؟

كان لا يزال يبتسم بود وحنان، فقلتُ: أنا متأكّدة أنّني لو كنت أعرف..

- حسناً إذن، لقد أصبحت تعرفين الآن، ولو دخلت هناك ثانية. وعندها أصبحت ابتسامته قاسية لتحول وجهه إلى شكلٍ شيطاني مُخيف وتابع قائلاً: سأرميك إلى الكلب!

كنتُ خائفةً جدّاً لدرجة أنّي لم أعرف ماذا فعلت، أعتقد أنّي ركضتُ إلى غرفتي ولم أعد أذكر أي شيء سوى أنّي وجدتُ نفسي راقدةً على السرير وأوصالي ترتعد من الخوف.

ثمّ فكّرتُ بك يا سيد هولمز، فأنا عاجزةٌ عن البقاء هنا دون الحصول على نصيحة مفيدة بهذا الخصوص، لقد بدأت أشعر بالرّعب من الجميع دون استثناء.. وأعتقد أنّك لو جئت فسيكون كل شيء على ما يرام.

بالطبع كنت أستطيع الفرار من المنزل لكن فضولي يدفعني للبقاء رغم خوفي الكبير.

وقد قرّرت في النّهاية أن أرسل لكَ برقيّة، فتوجّهت إلى مركز البريد وأرسلت البرقية ثمّ عدت ثانيةً، وأنا بوضعٍ

أفضل، لقد خطر لي احتمال أنّ الكلب قد يكون طليقاً وأنا عائدةٌ إلى المنزل، لكنّي تذكّرتُ أنّ تولر كان في المساء قد شرب حتّى غاب عن الوعي، وأنا أعرف أنّه الوحيد في المنزل الذي يتجرّأ على الاقتراب من ذلك الوحش، فتسلّلتُ إلى الدّاخل بأمان وبقيتُ مستيقظةً حتّى منتصف الليل سعيدةً بفكرة أني سأراك غداً.

في الصّباح، أخذتُ إذناً بسهولة للقدوم إلى وينشستر لكن يتوجّب عليّ العودة قبل السّاعة الثالثة، لأنّ السيد والسيدة روكاسل سيذهبان بزيارة وسيقضيان الأمسية بالخارج، لذلك يجب أن أعتني بالطفل...

الآن وبعد أن أخبرتك بكل مالدي يا سيد هولمز، ماذا يتوجّب عليّ أن أفعل؟

كما أرجوك أن تشرح لي معنى كل ما مررتُ به.

استمعنا أنا وهولمز إلى هذه القصة الغريبة بصمتٍ مطبق وانتباهٍ شديد، ثمّ وقف صديقي وأخذ يروح ويجيء في المكان واضعاً يديه في جيوب بنطاله والصّرامة ترتسم بحدّةٍ على وجهه، أخيراً سأل قائلاً: ألا يزال تولر ثملاً؟

- نعم، فقد سمعت زوجته تخبر السّيدة روكاسل بأنّها لاتستطيع أن تفعل شيئاً بشأنه.

– هذا جيد، وهل سيخرج الزّوجان اللّيلة؟

– نعم.

– هل يوجد في المنزل قبو له قفلٌ قوي؟

– نعم.

– يبدو لي أنّكِ قد تصرفتِ في هذا الأمر كشخصٍ عاقل وشجاع جدّاً يا آنسة هنتر!

هل تعتقدين أنّكِ قادرةٌ على القيام بعملٍ بطولي آخر؟

لم أكن لأطلب منك ذلك لولا أنّني أعتقد أنّك امرأة استثنائيّة.

– سأبذل قصارى جهدي، ما الذي يجب أن أفعله؟

– سنذهب إلى المنزل في السّابعة مساءً، سيكون الزّوجان قد غادرا، ونأمل أن يكون تولر في ذلك الوقت مازال غير قادر على القيام بشيء، وستبقى السيدة تولر فقط هي القادرة على فضح أمرنا، فلو استطعتِ إرسالها إلى القبو في مهمّةٍ ثمّ أدرتِ المفتاح لتغلقي الباب عليها فسوف تجعلين الأمر سهلاً جدّاً بالنسبة لنا.

– سأفعل ذلك.

– ممتاز، دعونا ندرس الأمر إذن، إنّني أجد تفسيراً واحداً فقط يمكن أن يكون منطقيّاً.

لقد تّم إحضارك إلى ذلك المنزل لتنتحلي شخصيّة شخصٍ ما، وهذا الشّخص مسجونٌ في تلك الغرفة، هذا واضح.

أمّا بالنّسبة لهويّة ذلك الشّخص السّجين فهي بدون شك ابنة السيد روكاسل، الآنسة أليس روكاسل التي قيل إنّها في أميركا، لقد تمّ اختيارك بلا شك لأنّك تشبهينها في الطّول وشكل الجسم ولون الشّعر، وقد تمّ قص شعرها في الغالب بسبب مرضٍ حلّ بها، لهذا توجّب عليكِ التّضحية بشعرك أيضاً، وقد عثرتِ أنت على خصلة شعرها هي بمصادفة غريبة.

لا شك في أنّ الرّجل الذي كان يقف على الطّريق هو صديقٌ لها أو خطيبها، ولا شك أنّه عندما رآكِ وأنتِ ترتدين ثوب الفتاة وتشبهينها كثيراً، اقتنع من خلال ضحكك كلّما رآكِ، وبعد ذلك عندما لوّحتِ له بيدك ليبتعد، بأنّ الآنسة روكاسل سعيدةٌ تماماً ولم تعد تريده...

ولعلّهم يُطلقون الكلب الشّرس في المساء لمنعه من الاتصال بها، حتّى الآن أرى الأمر واضحاً، أمّا أخطر نقطة في هذه القضية، فهي الطّبيعة العدوانية لشخصيّة الطّفل.

تعجّبتُ قائلاً: ما علاقة هذا الأمر بالقضيّة؟!

- يا عزيزي واطسون، أنتم معشر الأطباء تتعرفون على أسباب جنوح الطّفل عن طريق دراسة سلوك والديه، ألا توافق على أنّ العكس صحيحٌ أيضاً؟ فأنا عادةً ما أفهم شخصيّة الآباء بشكلٍ عميق من سلوك أطفالهم، إنّ طباع هذا الطّفل قاسية بشكل غير اعتيادي بل بشكلٍ مرضي، سواء اكتسب هذا الأمر من أبيه المبتسم دوماً، ظاهريّاً، أم من أمه فهذا دليل على أنّه قد يُشكّل خطراً على الفتاة المسكينة التي وقعت في الفخ وهي محبوسة الآن في تلك الغرفة.

- صاحت عمليتنا قائلةً: أنا متأكدة أنّك على حق ياسيد هولمز، أتذكّر الآن الكثير من المواقف التي تؤكّد لي أنّك فهمتَ الأمر تماماً، دعنا لا نضيع أي لحظة قبل مساعدة الفتاة المسكينة.

- يجب أن نلتزم الحذر، فنحن نتعامل مع مجموعةٍ ذكيّةٍ للغاية، لن نتمكّن من القيام بأي شيء قبل السّابعة، وفي تلك السّاعة تحديداً سنكون معكِ ولن يمضي وقت طويل قبل أن نحل اللغز..

وحسب الموعد، فقد وصلنا إلى منزل (أشجار الزّان النّحاسيّة) في تمام السّاعة السّابعة.

كانت مجموعة الأشجار وأوراقها الدّاكنة التي تلمع

كمعدنٍ مصقول تحت ضوء الشّمس قبل غيابها، تعرّفنا على المنزل مباشرةً رغم أنّ الآنسة هنتر كانت تقف على الباب مبتسمةً بانتظارنا.

سألها هولمز: هل تمكنت من القيام بما طلبته؟

وما كاد يتم السؤال حتى سمعنا صوت دقات مكتومة صادرة من مكان أسفل المنزل.

قالت الآنسة هنتر: هذا صوت السيدة تولر في القبو وزوجها يغط في نومٍ عميق على سجادة المطبخ، وها هي مفاتيحه وهي نسخة عن مفاتيح السيد روكاسل.

صاح هولمز بحماس: لقد أجدت التّصرف حقاً! والآن قودي الطّريق أمامنا لننهي هذه القضية البغيضة بسرعة.

صعدنا الدّرج وفتحنا الباب وتابعنا السّير في الممر، فوجدنا أنفسنا أمام العمود الذي وصفته الآنسة هنتر.

قطع هولمز الحبل ورفع العمود الذي يعترض الطّريق، ثمّ بدأ يجرّب المفاتيح في قفل الباب، لكن دون جدوى..

في هذا الأثناء لم يصدر أي صوت من الدّاخل، فبدا القلق العميق جليّاً على وجه هولمز نتيجة هذا السكون وقال: أرجو ألا نكون قد تأخرنا! أعتقد يا آنسة هنتر أنّه من الأفضل أن تبقي أنتِ في الخارج عندما ندخل.

والآن يا واطسون دعنا نخلع هذا الباب...

كان الباب قديماً متهالكاً، فانهار بسرعةٍ تحت ضرباتنا، واندفعنا معاً إلى الغرفة لنجدها خالية ! لم يكن فيها أي أثاث سوى فراش من القش وطاولة صغيرة، وسلّة مليئة بالملابس القطنية، كانت نافذة السقف مفتوحةً والسّجينة غير موجودة!

قال هولمز: لقد وقعت جريمة هنا، لقد توقّع ذلك المخادع نيّة الآنسة هنتر، وعرف مايدور بخلدها فقام بتهريب الضّحيّة.

- لكن كيف؟

- عبر فتحة السّقف هذه، سأعرف حالاً كيف تمكّن من ذلك.

تأرجح رافعاً نفسه إلى الأرض فوق السّقف ثمّ صاح قائلاً: آه، نعم، ها هي نهاية سلّم طويل على حافّة السّطح، هكذا نفّذ الأمر.

قالت الآنسة هنتر: لكن هذا مستحيل، فلم يكن السّلم هناك حين غادر الزّوجان روكاسل المنزل.

- لكنّه يمكن أن يكون قد عاد ليقوم بالأمر، لقد أخبرتكم أنّه شخصٌ ماهرٌ وخطر.. ولن أفاجأ إذا كان هو

من أسـمع خطواته صاعـداً على الدّرج الآن، أعتقد ياواطسـون أنّه من الأفضل أن تُهيئ مُسدسك.



لم يكـد ينتهـي مـن كلامـه حتّى ظهـر بالبـاب رجـلٌ بدينٌ، ضخـم الجثّـة حاملاً بيـده عصا، فصرخت الآنسـة هنـتر لرؤيته وتراجعـت بظهرهـا إلى الجـدار، لكـنّ شـارلوك هولمـز قفز إلى الأمام وواجهه قائلاً: أيّها الشرير، أين ابنتك؟

جـال الرّجـل ببـصره في الغرفة ثمّ نظـر إلى النّافـذة المفتوحة في الأعـلى وصرخ قائـلاً: أنـا مـن يجـب أن يسـأل هذا السـؤال، أيّها اللُّصوص...

جواسيس ولصوص... لقد وقعتم في قبضتي الآن، أليس كذلك؟ أنتم تحت رحمتي الآن، سأنتقم منكم.

ثمّ اندفع خارجاً وهو يصرخ ويصيح لينبه الجميع، فقالت الآنسة هنتر: لقد ذهب ليجلب الكلب الشّرس!

فقلت: لا تخافي، معي مسدّس.

صاح هولمز: من الأفضل أن نغلق الباب الأمامي.

اندفعنا جميعاً ننزل الدّرج معاً، ولم نكد نصل إلى القاعة حتّى سمعنا نباح الكلب تلاها صوت صرخة ألم، صرخة رهيبة مُرعبة..

ولم يلبث أن اندفع من الباب الجانبي رجلٌ عجوز وجهه أحمر وهو يترنّح وأوصاله ترتعش وصاح قائلاً: يا إلهي، لقد أطلق أحدهم الكلب! لم يطعمه أحد منذ يومين... أسرعوا، أسرعوا وإلا فات الأوان!

أسرعت وهولمز إلى الخارج وقمنا بالدّوران حول زاوية المنزل، فيما تولر يركض خلفنا، وهناك وجدنا الوحش الضّخم وأنيابه مغروزة في أسفل وجه السيد روكاسل الذي كان يتلوّى ويصرخ وهو مرمي على الأرض.



اندفعت جريا وأطلقت النار على رأس الكلب فسقط ميّتاً فيما أسنانه البيضاء اللامعة مازالت مطبقة على ذقن روكاسل الضخمة.

نجحنا بعد جهدٍ كبيرٍ بفصل أنياب الكلب الحادّة عن ذقن الرّجل وحملناه إلى المنزل، كان ما يزال حيّا لكنّه مشوّه بشكلٍ كبيرٍ وضعناه على أريكة غرفة الرّسم وأرسلنا تولر الذي استفاق إلى زوجة السيد روكاسل ليخبرها بالأمر، ثمّ فعلتُ ما بوسعي كطبيب لعلاجه وتخفيف ألمه.

كنّا جميعاً موجودين حوله حين دخلت الغرفة امرأةٌ طويلةٌ كئيبةٌ، فصاحت الآنسة هنتر: السيدة تولر؟!

– نعم يا آنسة، لقد أطلق السيد روكاسل سراحي حين

عـاد وقبـل أن يصعـد إليكـم، آه يـا آنسـة، مـن المؤسـف أنكِ لم تخبرينـي بـما كنـتِ تخططـين لـه لأننـي كنـت سـأخبرك بأنّـكِ تهدرين جهودك سدىً.

قـال هولمـز وهـو يرمقهـا بنظراته الحـادّة: مـن الواضـح أنّ السيدة تولر تعلم عن هذا الأمر أكثر من أي شخصٍ آخر.

- نعم يا سيدي، وأنا على استعداد لأقول لك كل شيء.

- أرجـو أن تسـتريحي حتّـى نسـمع مـا لديـك، أعـترف أنّ هناك نقاط كثيرة غير واضحة في هذا الأمر.

قالـت: سـأوضّح الأمـر بسرعـةٍ، كنـت سـأفعل ذلـك قبل الآن لـو استطعت الخـروج مـن القبـو، ولكـن إذا تدخلـت الشرطـة والمحاكـم في هـذا الأمـر عليـك أن تتذكّـر أنّي إلى جانبكم أنتَ والآنسة هنتر.

سـكتت قليـلاً ثـمّ تابعـت بعـد أن نظـرت إلى هولمـز باسـتعطافٍ وقالـت: لم تكن الآنسـة أليس سـعيدة في المنزل منذ تـزوّج والدهـا مـرّةً ثانيـةً، ثـمّ بـدأ هـو بتجاهـل وجودهـا، ولم يعـد يستشـيرها أحـدٌ في أي شيء بالبيـت، لكـنّ وضعهـا لم يتدهـور حتّـى قابلـت السـيد فاولـر في منـزل أحـد الأصدقاء. وفي حـدود معلومـاتي، فـإنّ للآنسـة أليـس حقوقـاً خاصّـة بناءً عـلى وصيـة، لكنّهـا كانـت هادئـة وصابرة فلـم تطالب السـيد

روكاسـل بـشيءٍ ممـا ورد في الوصيـة، بـل تركتهـا كلّهـا تحـت وصايتـه، كان السـيد روكاسـل يعـرف أنّها لن تخونـه لكن حين لاحـت فرصـة وجـود زوج قـد يطالـب بـكل الحقـوق التـي يضمنهـا لهـا القانـون، فكّر والدهـا بأنّـه من الأفضل أن يحسـم الأمـر. لقـد طلـب منها أن توقّـع على توكيـل يسـتطيع بموجبه اسـتخدام أموالهـا سـواء تزوّجـت أم لا، وعندمـا رفضـت أن تفعـل، أخذ يضغـط عليهـا ويزعجها حتّـى أصيبـت بحمّى في رأسـها وبقيـت لسـتة أسـابيع وهـي عـلى وشـك المـوت، ثـمّ تحسّـنت وتعافـت مـن مرضهـا، لكنّهـا كانـت مرهقـةً تمامـاً وشـعرها الجميـل سـقط جـزءٌ كبيـرٌ منه، وتـمّ قص جـزء آخر حتّـى يغـدو متناسـقاً، لكن هـذا لم يغـيّر موقف حبيبها الشّـاب منها، وتمسّك بها كما يفعل حبيبٌ مخلصٌ ورجل حقيقي.

قـال هولمـز: نعـم، أظـن أنّ مـا أخبرتنـا بـه يوضّـح الأمـر تمامـاً، ويمكنني اسـتنتاج الباقي، فقد عمد السـيد روكاسـل إلى سجنها بعد ذلك.

- نعم يا سيدي.

- وأحـضر الآنسـة هنـتر مـن لنـدن حتّـى يتخلّـص مـن إزعاج السيّد فاولر.

- هذا ما حدث يا سيدي.

- ولكن ولأنّ السيد فاولر رجلٌ مثابر، كما ينبغي أن يكون أي بحّار، فقد حاصر المنزل ونجح حين قابلك أن يقنعك بأنّ من مصلحتك أن تساعديه.

فقالت السيدة تولر والصدق باد على وجهها: إنّ السيد فاولر رجلٌ سخي وحديثه لطيف.

- وبهذه الطّريقة ضمن أن يكون السيد تولر ثملاً للغاية وأن يتم تجهيز السلّم في اللّحظة التي يخرج فيها السيد روكاسل وزوجته من المنزل.

- كأنّك كنت معنا يا سيدي، هذا ما حدث بالضّبط.

فقال هولمز: نحن مدينون لك باعتذارٍ يا سيدة تولر، لقد كان موقفكِ نبيلاً، كما أوضحتِ لنا كل النقاط الغامضة، ها هو طبيب القرية قادم يا سيد روكاسل، لذلك أعتقد يا واطسون أنّه من الأفضل أن نرافق الآنسة هنتر إلى وينشستر، فقد أصبح موقفنا مثيراً للشّك الآن.

وهكذا تمّ حل لغز ذلك المنزل المشؤوم الذي ترتفع أمام بابه أشجار الزّان النحاسيّة، عرفنا فيما بعد أنّ السيّد روكاسل قد نجا من مضاعفات هجوم الكلب لكنّ وجهه تشوّه، ولعلّه لم يبقَ على قيد الحياة لولا رعاية زوجته المخلصة، وما يزال يعيش هو وإياها مع خادميها السيد

والسـيدة تولـر اللّـذان يعرفـان عـلى ما يبـدو الكثير عـن ماضي السيد روكاسل بحيث لن يغامر بطردهما.

مـن جانـبٍ آخـر، عرفنـا أنّ السـيد فاولـر تـزوّج بالآنسـة أليـس روكاسـل في سـاوثهامبتون في اليـومِ التّـالي لهروبهـا معه، وهـو يعمـل حاليـاً بوظيفـة حكوميّـةٍ في جزيـرة موريشـيوس جنـوب أفريقيـا، أمّـا بالنسـبة للآنسـة هنـتر فهـي تعمـل الآن كمديـرة لمدرسـة خاصّـة، وهـي تحقّـق نجاحـاً كبـيراً جلب لها تقديراً كبيراً من محيطها.

• انتهى •